الآستاذة إيمان كركي

أثر التهجير في الهوية الفلسطينيّة من خلال الرواية العربيّة

تُعدّ مأساة الفلسطينيين امتدادًا مؤلمًا في ذاكرة عربيّة مُنهكة من الحروب الدمويّة مع "إسرائيل"، وقد كانت بداية الأزمة عندما فضلت حكومة الانتداب البريطانيّ فلسطينَ، واتخذت قرارات حازمة ضيقت على الفلسطينيين نتيجة لممارسات صهيونيّة بشعة تتجلى في إحراق بعض القرى الفلسطينيّة وإبادتها بأكملها، وهو ما اضطر أعداداً كبيرة من الفلسطينيين إلى إخلاء الأرض، فكانت نتيجة تلك الهجرة احتلال "إسرائيليين" مساحات أوسع من دولة فلسطين، وفرض واقع مرير بإخلاء الأرض من سكانها الأصليين وتضييع هويتهم.

يسعى هذا البحث أن يبيّن أثر التهجير في الهوية الفلسطينيّة من خلال بعض روايات الروائي الفلسطيني "جبرا إبراهيم جبرا"، ولا سيّما روايات" البحث عن وليد مسعود" و"السفينة" و"الغرف الأخرى". إذ سجل في هذه الروايات ملامح الخروج من فلسطين، وبناها على مشهد الخروج التراجيدي في مواضع ومواقع جغرافيّة مختلفة، وبإتجاه بلدان عديدة، ولا سيما لبنان والعراق. راسمًا حدود تفكّك الحياة الفلسطينيّة، وتبعثر المواطنين الفلسطينيين إلى جهات الأرض، واللجوء والشتات اللذين لم يعنيا محو فلسطين عن الخريطة، بل انهيار حياة البشر وموتهم، وتشردهم وفقدانهم أملاكهم، وانقطاع تسلسل حياتهم.

"جبرا" لم يقفل المشهد على الخروج والشّتات الأبديّ اللذين لا يمكن عكسهما، بل فتح المشهد على أمل العودة والمقاومة، لأنّه كتب انطلاقًا من رواية أيديولوجية مقاومة ومحاولة استرجاع الهوية الفلسطينية.

لذا، حاولنا رصد الأسباب والنتائج من خلال سعينا الإجابة عن هذه الأسئلة، وإيجاد الحلول لها.

ومن هذه الأسئلة:

- كيف تبلور مشهد التهجير في الروايات؟
- وكيف أثر على الهوية الفلسطينيّة؟
- وما الدور الذي أدته الشخصيات الروائيّة في روايات "جبرا" من أجل استعادة هويتها الضائعة والمحافظة على مكانتها الاجتماعية؟

أعتقد أنّنا سنصل إلى نتائج مهمة إذا عرضنا الموضوع من خلال المنهج البنيويّ السّرديّ، وقد اعتمدنا أساسًا على بعض المحاور المهمة، واعتمدنا أيضًا على دراسة الشخصيات الروائية التي أظهرت هذا

الموضوع بشكل جليّ، لأن السّرد لا يمكنه أن يأخذ معنًى، إلّا انطلاقًا من العالم الذي يستعمله."[1]، وهنا رصد هوية الشخصيات "من خلال أفعالها من دون إهمال علاقتها بعضها ببعض." [2]

ففي رواية "البحث عن وليد مسعود": الشخصيّة الرئيسة "وليد مسعود" يطرح موضوع التهجير من خلال قوله: "لقد كانت مصيبة الفلسطيني لا النفي عن مسقط رأسه فحسب، بل الصعوبة المفروضة عليه في التنقل من بلد إلى بلد، ورصده رصد المجرمين من أجهزة أمن لا تحصي أنواعها، وما من حكومة عربيّة إلّا وتصرخ بالوحدة وتضع في الوقت ألف حاجز بين قطرها والقطر العربيّ الآخر".[3]

لقد أظهر أثر التهجير في إعادة صياغة مفهومي الأرض والوطن، ونشوء أسباب جديدة للعلاقات والوطن والناس، فالأرض في ثقافة الفلسطيني، وخاصة اللاجئ الذي اضطر إلى تركها، هي الوطن لأبعاده الثلاث: جغرافيّ، اقتصاديّ، اجتماعيّ."[4] والأرض في الذاكرة الفلسطينية مفهوم مركب؛ فهي: "الناس بكلّ ما لهم وعليهم من علاقات في ما بينهم"[5]. وهي في وعي الفلسطيني "البوتقة،... وقد حسب بعض الدارسين أنّ الأرض والوطن كلمتان مترادفتان"[6]. لذلك ربط "وليد مسعود" الوطن بالأرض وحاول أن يسترجعها بالعودة إليها؛ فهو مقتلع، وهو يحاول أن يجد الأرض، ويعيد فيها غرس جذوره، وإلّا لن يستطيع أن يفكر، وأن يكتب، وأن يحقق شيئًا...

عانى "وليد مسعود" ويلات الحرب، وذاق لعنتها، فشلّت حركته، ومنعته من المضي قُدمًا بحياته، واختلّت عاداته اليوميّة، إذ أضاف الاحتلال الإسرائيليّ ابتكارات جديدة من القتل والتدمير والأسر والتشرّد والتهجير، فانعدمت الإنسانيّة من خلالها، وانبثق منها التشويه على المستويين الجسديّ والنفسيّ: و "كان وليد من أهل الجبال في فلسطين، وكلهم على ما يبدو فلاحون أقوياء، يُقارعون الأرض، فتمدّهم الأرض بصلابتها ومقاومتها، وكان هو يتباهى بذلك"[7]. سلبهم العدو أرضهم، وهذا مّا أدى إلى انتشار مشاعر الخوف والذعر في نفوس أهالي القرى بفعل الأعمال الإرهابية والمذابح التي مارستها المنظمات الصهيونية المسلحة، التي دفعت بهم إلى الخروج من أرضهم. ولم تكتفِ السلطات الصهيونية بتشريد أبناء الشّعب الفلسطيني، بل قامت بهدم قراهم ومدنهم لطمس الأثر الوجوديّ لهم، وحتى تقطع عليهم أمل العودة.

---

[1]- بارت، رولان، النقد البنيوي للحكاية، ترجمة أنطون أبو زيد، عويدات، زدني علمًا ، بيروت، ط1، 1988، 29.

[2]- لحمداني، حميد، بنية النصّ السّرديّ(من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربيّ للطباعة والنشّر والتوزيع، بيروت، ط3، 2000ص.207:

[3]- جبرا، جبرا إبراهيم، البحث عن وليد مسعود، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، طبعة خاصة، 1989، ص: 115.

[4]- القليلي، عبد الفتاح، الأرض في ذاكرة الفلسطينيين: اعتمادًا على التاريخ الشفوي في مخيم جنين، رام الله، 2004، ص: 81.

[5]- المرجع نفسه، ص: 17.

[6]- م. ن، ص: 17.

[7]- جبرا، جبرا إبراهيم، البحث عن وليد مسعود، ص: 139.

لذا، رسم "جبرا" خريطة أرضه بالأحداث والشخصيات، وملامح الطبيعة الثّابتة حتى الشجرة والتل والنبع والتربة الحمراء والنباتات... وذلك في محاولة منه للوقوف في وجه الممارسات الإسرائيلية التي تسعى إلى فرض سياسة التجهيل، وقطع جذور الإنسان الفلسطيني بأرضه، والعمل على تثبيت ملامح الأرض والمكان حتى تبقى حيّة في الذّاكرة.

تعدّ هذه الرواية رواية البحث عن الهويّة التي ضاعت ضمن فضائيين مكانيين: فضاء مادي ممثّل في الغربة والهجرة، وفضاء نفسي غائب يُطلّ من ذاكرة الشخوص ممثّل في الوطن، وهو ما يخلق أزمة البحث عن الهوية أو فهم كينونة الذّات.

يضع "جبرا" شخصيّاته الرّوائيّة بأوضاع خانقة، فيتصادم فيها الماضي والحاضر في دواخل كلّ منهم، فعلى الرغم من الانصهار بالواقع بما فيه من تشوهات، إلّا أنّ الماضي يطل من الذاكرة لتتعلق به الشّخصيّات ويزيد من توقها إلى إيجاد هويتها. وهكذا تتشكل أزمة غياب "وليد مسعود" " داخل البنية الرّوائيّة بتضافر عناصر السّرد التي تتقدّمها تقنية تعدّد الأصوات التي تطلّ من خلال صوت "وليد" وغيره من شخصيّات الرواية، فتتعدّد وجهات النظر، وتتجلى جوانب شخصيته المختلفة" .[8]

يعكس "وليد مسعود" الرجل المثقف واقعه، أي واقع الطبقة البورجوازية المثقفة في اغترابها بعيدًا من فضائها المكانيّ الأصيل، إذ يدعو إلى الإختلاف والتميّز على الرغم من ضياعه وانهزاميته، وعجزه عن الفعل الحقيقي المؤثر، فيهرب إلى أجواء السهر والصخب والشرب والشبق، والعلاقات النسائية العشوائية والجدل والنقاش العقيمين. وهو ما يعمّق الإحساس بالضياع وغياب الانتماءات الحقيقيّة. فعلى الرغم من انشغاله بنجاحاته، ظلّ يبحث عن هويته الضائعة وتحقيق ذاته ضمن عالم مليء بالموت وبالرعب وبالكراهية؛ "وكان يمرّ بأزمات عسيرة، يكفر، يسد إذنيه، يلعن سطوة الشر على الحياة ينال منه الغصب لأيام متوالية"[9]. كان يعي هذا الأمر، ولكنه عاجز عن التصدّي أو المواجهة. "فالشّخصيّة الرّوائيّة كشخصية السينما أو شخصية المسرح لا يمكن فصلها عن العالم الخيالي الذي ينتمي إليه البشر والأشياء، فهي لا يمكن أن توجد في ذهننا كوكباً منعزلاً وهي تعيش فينا بكل أبعادها".[10]

لذا، ظهرت شخصية "وليد" حاملة سماتٍ إنسانيَّة ، "بوصفها كائنًا إنسانيًّا يتواشج داخل النّص السّردي مع عناصر السرد الأخرى في تكوين المشهد السّردي"[11]. إذ تعدّ الشّخصيّة الرّوائيّة العنصر الوحيد

---

[8]– عبيد، ليناداء، البحث عن الذّات وغنى التنوّع السّردي في رواية جبرا إبراهيم جبرا "البحث عن وليد مسعود، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، الأردن، المجلد 29 (4)، 2015.

[9]– جبرا، جبرا إبراهيم، البحث عن وليد مسعود، ص: 14.

[10]– رولان برونوف، ورويال أوئيله، عالم الرواية، تر. نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1991، ص: 136.

[11]– تزفيطان، تودورون، مقولات السرد الأدبي، تر: الحسين سحبان وفؤاد صفا، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1982، ص: 48.

الذي تتقاطع عنده العناصر الشكليّة الأخرى ... بما فيه الأحداث الزمنية والمكانية الضرورية لهذا الخطاب الروائي وأطراده"[12]. لذلك ابتدع "وليد" عالمًا خاصًا به، وجعلنا نرى الأحداث من منظوره الخاص، ولا سيّما في ما يتعلق بالهوية وموضوع التهجير، إذ "إنّ الشّخصيّة تقوم بوظائف متعدّدة، وتشكل اللحمة لعناصر القصة، فالراوي المبدع الخلّاق هو الأقدر على تشكيل عالمه الروائي بما فيه من كائنات متحركة وجمادات تتفاعل في ما بينها وفق حركة التتابع الزمني، أو تشظيه وانكساراته وفق حركة التتابع الزمني .[13])

يمثل "وليد" شخصية المثقف الفلسطيني في اغترابه ومنفاه، بوصفه بطلًا يواجه واقعًا متشظيًّا بين ذاكريتين: قديمة وجديدة. ويسخّر "جبرا" بناءه الروائي وتقنياته السّرديّة الفنيّة لتشكيل هذا البطل، وتشديد محاولاته للبحث عن هويته، "فالشّخصيّة الرئيسة هي محور العمل الروائي على اختلاف ما يحمّلها إياه الروائي من توجهات ووجهات نظر، وعلى اختلاف التقنيات المستهدفة في تسريدها. لذا، إنّها "تتعدّد بتعدّد الأهواء والمذاهب والأيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع التي ليس لتنوعها ولا لإختلافها من حدود" .[14]

يخلق الروائي هذه الشّخصيّات ليكشف عن ظروفه النفسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والاقتصاديّة داخل الفضائيين الزمانيّ والمكاني، بما يمثله المكان من خصوصية لدى الفلسطينين في بعديه: الماديّ والنفسيّ المتشكّل من إطلالات فضاءات الحلم والبحث عن الهوية الضائعة. "فالشّخصيّة عنصر مصنوع يحتاج إلى كل عناصر الحكاية، فهي تتكوّن من مجموع الكلام الذي يصفها ويصوّر أفعالها، وينقل أفكارها وأقوالها".[15]

فهو يوظف تقنياته السّردية لتجلية سمات "وليد مسعود" المظهريّة والنفسيّة، وتصوراته بصورة إنسان متفرّد، بل بصورة إنسان عادي نتيجة للتغيّر بملامح المجتمع وظروفه الواقعية التي تشكل مأساة هذا البطل المنفي، والمبعد من وطنه قسرًا، وفقدانه هويته وعجزه عن استعادة ذاته. "فالبطل الروائي في الرواية العربيّة ليس رأسماليًّا ولا بروليتاريًّا، إنّما هو بورجوازيّ متوسط أو صغير".[16]

لقد رسم "جبرا" بطله ليومئ من خلاله إلى ما يدور داخله من هموم وأوجاع، فنراه أحيانًا خاضعًا لواقعه، ومتمردًا في أكثر الأحيان، ربّما يعود ذلك إلى الظروف الحياتية التي عاشها، وأثرت في خلق

---

[12]– الهواري، أحمد، البطل المعاصر في الرواية العربية، دار المعارف، القاهرة، 1986، ص: 14.

[13]– بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، بنية الشكل الروائي، (الفضاء- الزمن- الشخصية)، المركز العربي الثقافي، بيروت، ط1، 1996، ص: 226.

[14]– مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، بحث في تقنية السّرد، الكويت، عالم المعرفة، العدد 240، 1998، ص: 83.

[15]– زيتوني، لطيف، معجم المصطلحات، دار النهار، لبنان، 2000، ص: 114.

[16]– عزام، محمد، البطل الإشكالي في الرواية المعاصرة، دار الأهالي، دمشق، 1992، ص: 16.

منظومته الثقافية القائمة على المعاناة والقهر، والإنتزاع القسريّ عن الوطن، وهو ما أدّى إلى ضياع هويته في الغربة.

ويؤثّر "وليد مسعود" في الشّخصيّات الأخرى، فهي لا تشرع في البحث عن ذاتها وهويتها بمعزل عن بحثها عنه. "إنّه متلازم مع تطوّر تجربتها... على الرغم من غيابه، وهو في داخلها فاعل مؤثر محبوب تارك بصماته في أذهان الرجال وأعمامهم، وفي قلوب النساء العاشقات وأجسادهن".[17]

لقد تشكل "وليد" بوصفه مركز السّرد، أو بؤرة مركزية للتداول والتساؤلات والغموض، وهذا ما ميّزه لكونه مُبعدًا من وطنه، ومنفيًّا، تتجلى قدرته على اختلاق وعي للحياة، ومقاومة الفناء والتلاشي والذوبان عبر خلق أنساق ماديّة، وفكرية وحضارية في الوعي الفلسطيني في مرحلة الاصطدام بالمنفى، كونه عايش أكثر من خمسين سنة الصراع، وحاول أن يُبرز ذاته، ويستعيد هويته الضّائعة.

وبذلك نستنتج من التوصيف السّردي الاتكاء على أثر الوجود المبعثر بتكوينه اللغوي والوجودي على حد سواء. وهذا يحملنا على التسليم بأنّ الخروج من هذا الواقع لا يتوفر له خيارات كثيرة؛ لعل أهمها المقاومة، ومركزية العودة، بالتوازي مع حضور الفلسطيني الإشكالي في الشتات، بما يشمل ذلك من نزعات التنافس، والمبالغة في تكوين وإسناد الشّخصيّة الفلسطينية إلى عدد من المواصفات لتجاوز هذا النفي والإبعاد والاقتلاع من الذات.

أمّا في رواية "السفينة"، فقد صوّر الكاتب التهجير وضياع الهوية في الواقع العربيّ عمومًا، ولا سيّما في فلسطين، من خلال الشّخصيّات الرّوائيّة، ولا سيّما شخصيّة "وديع عساف" الذي وجد نفسه مُرغمًا على الاقتلاع من وطنه تاركًا بيته وأرضه وعائلته مشتتة، مهدّدة بالقتل في أي وقت.

هذا ويجمع النّص السّرديّ في "السّفينة" بشكل لافت بعض السّمات الحضارية كالتهجير والغربة، وضياع الهوية والحنين والعبثيّة، والقلق، والحياة والموت والبحث عن الخلاص الفردي... ومن أبرز المؤثرات هو الواقع العربيّ السّلبي، واقع الاغتراب والقلق الوجوديّ، حيث صور المؤلف شخصيّات عربيّة بأنماط عيش وتفكير عربيّ، تُحاكم وتُندّد من منطلقات إنسانيّة واقعها العربيّ؛ وقد صوّر ذلك برؤية محكومة بحدود رمزيّة.

تجسد رواية "السفينة" رمزًا لفضاء الاغتراب، إذ ظلّ يسكن الشّخصيّات حتى بعد خروجها منها، كما أنّ البحر حضر كمرآةٍ لواقع الشخصيّات، فصوّره الكاتب من خلالها، وصوّرها من خلاله، فجاءت الصورة تفاعليّة وشديدة الكثافة.

---

[17]– وادي، فاروق: ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية: غسان كنفاني، إميل حبيبي وجبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط 1، 1981، ص: 160.

لذا، يقدّم "جبرا" في هذه الرواية صورة وجودية سوداوية للإنسان العربيّ، قوامها الرفض والتنديد والغربة والإحساس بضياع الهوية، والوحدة... لقد حلّ "اليهودي محلّ الفلسطيني التائه، فصرنا نرى الفلسطيني يضرب في كل بلد، يحمل عبء ماضيه، بذكرياته وأحزانه، يروح ويغدو في طلب الرزق وشيء من الإستقرار، ومخاوف الجوع ترفرف فوق رأسه كالجوارح؛ نراه في شوارع بيروت ودمشق والقاهرة، نراه في الخليج العربيّ والكويت والصحراء العربية. لقد أصبح رمزًا لأمة انقسمت على نفسها، ولم تلتئم أجزاؤها. فهو يجد نفسه بحكم التائه، بحكم ماضيه وذكرياته، يجد صعوبة كبرى في الاستقرار في أي مكان... وهو لسبب ما بارز الظهور أينما حلّ".[18]

شكلّت فلسطين بالنسبة إلى "وديع عساف" الأرض الباستورالية، إذ عدّها جنة، فشعر بأنّه مسؤول عن ضياع جنّته على الرغم من القوى الجبّارة التي تعاونت على إخراجه منها. وقد أدّت هذه الظروف إلى التهجير، وتجربة الذلّ في المخيمات وتجربة الغربة وتجربة البحث عن الهوية الضائعة، فالسّفينة تبحر "إلى الغرب! إلى جزر العقيق"[19]. ربما تكون هذه الجزر رمزًا لما يسعى إليه المبحرون على "السفينة". إذ بدأت رحلة "وديع عساف" من الكويت أو من بيروت أو أي مكان آخر، ولكنّها على المستوى الرمزيّ أو الأسطوريّ بدأت من الجنة (فلسطين)، ولا بدّ أن تنتهي بالعودة إليها بعد الطّرد منها والمرور في رحلة العذاب التي يُمتحن فيها البطل إمتحانًا عسيرًا: "قلنا الصدق حتى بُحّت حناجرنا وأضحينا لاجئين في خيام، توهّمنا الصدق في أمم العالم، وإذا نحن ضحية سذاجتنا، وقدعرفنا ذلك كأمة، وعرفناه كأفراد".[20]

يستعيد "وديع عساف" شريط ذكرياته في فلسطين "الليالي قد تأتيني بذكريات... فأحزن، وأغضب وأبكي. كنت مرّة في فندق في الشام عندما فوجئت بمثل هذه الذكريات فبكيت، ورآني رجل أعرفه، فجاء يسألني ما الخبر... فقلت أبكي على أبي، وأمي، وأخوتي، وما عدت أعرف الخجل".[21]

ويحاول "وديع" أن يُمهّد لرحلة العودة، لكن مشروع العودة يبقى رومانسيّ الطابع يفتقر إلى البرنامج العمليّ. يخيّل إلى "عصام" أنّ "وديع" "يشارك في نشاط خاص يعمل على تحشيد فدائيين منتخبين وتدريبهم للتوغّل وراء حدود الصهاينة وضربهم في الأرض المحتلة"[22]. ويصرّح بأنه اشترى أرضًا في حلحول، أي في منطقة لم تكن في زمن الرواية قد احتلت بعد، "ليمدّ له "جذرًا عميقًا" في أرضه من جديد".[23]

---

[18]– جبرا، إبراهيم جبرا، أقنعة الحقيقة وأقنعة الخيال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1992، ص: 196.

[19]– جبرا، إبراهيم جبرا، السّفينة، دار الآداب، بيروت، ط 3، 1983، ص: 9.

[20]– المصدر نفسه، ص: 20.

[21]– م.ن، ص: 21.

[22]– م.ن، ص: 105.

[23]– م.ن، ص: 75.

تمثّل "السفينة" المجتمع العربيّ، "فوديع عساف" يمثّل شخصيّة الفلسطيني الضائع والتائه. هاجر من القدس بعد النكبة، وعمل في الكويت حتى امتلك مكتبًا تجاريًّا يدرّ عليه ثروة لم تُسعده. فيقول: "أضعت أرضي في القدس واكتسبت مكتبًا للإستيراد في الكويت، نفيت عن جذوري وكوفئت عن نفي بالبيع والشراء".[24]

لذا، يطرح "وديع عساف" من خلال الرواية مأساة فلسطين، فيحاول أن يُثبت وجود ذاته، ويجد هويته في التجارة بعد أن فقد أرضه، وهو شخصية قوية لها سطوة على جميع من يراه، شخصيّة آسرة للنساء والرجال على حدّ سواء، وهو محبّ لأرضه، يُعلن دائمًا استعداده للتضحية في سبيل وطنه . إنّه شخصية تسرد المعاناة الفلسطينية بكلّ أبعادها، ففي كلّ سطر من سطوره نبض الواقع الأليم والتجربة الحادّة والصدق الرائع.

أمّا في رواية "الغرف الأخرى" فتدور أحداثها في أجواء غامضة، وفي البحث عن هويّة الإنسان الضائعة في عالم تتداخل فيه الحقائق بالأكاذيب والأوهام. وتستند إلى الهوية القائمة على الذاكرة والفعل والمعتقدات والوعي بمتناقضات الذات ورغباتها. فالراوي مجهول في متاهة، حائر في معرفة نفسه بين أحداث وشخصيات مختلفة. يقول الراوي: "لم يكن ذلك وجهي الذي أعرفه كأنّني رجل آخر لم أره من قبل في حياتي."[25] أضاع هويته، وحاول أن يستعيدها ويسأل نفسه "ذلك السؤال الفلسفيّ الذي هو البداية والنهاية لكلّ معرفة "من أنا؟ إلى أين أنا أسير؟"[26]، كما ينكر هويته في أكثر الأحيان إذ تقول له الفتاة الغامضة: "لكنّك تنكر هويتك لأنّك نسيتها، أو، وهو الأصحّ، لأنك هجرتها عن عمدٍ، عن سابق إصرار منذ أن تركتني، حتى نسيتها بالفعل"[27]، فهو يرى أنّ الشّخصيّات الأخرى أخطأت في معرفة هويته: "كل ذلك التصرّف الغريب! لقد أخطأوا في معرفة هويتي".[28]

إنّ علاقة السّرد بالهوية هو تشابك السّرد بكينونة الإنسان ووجود العالم لحظة وعي الإنسان بهما، فالبحث عن الهوية، من منظور فلسفيّ، هو البحث في الوجود، في كينونة الإنسان والمجتمعات والعالم. هذه الكينونة بتاريخها وذاكرتها وأقدارها وحاضرها والأشكال المحتملة لمصيرها قائمة في السرد، إذ "إنّ جذور العلاقة بين السّرد والكينونة تمتد إلى العلاقة بين السّرد والكون في طفولة الفكر البشريّ، وإذا كانت الكينونة

---

[24]– م.ن، ص: 50.

[25]– جبرا، جبرا إبراهيم، الغرف الأخرى، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشّر، بيروت، ط 1، 1988، ص: 68.

[26]– المصدر نفسه، ص: 75.

[27]– م.ن، ص: 28.

[28]– م.ن، ص: 26.

بمعنى عام تفيد (الأنوجاد) ذاته يرتد إلى الرؤية التي صاغها الإنسان للكون من حوله، وهي رؤية تقوم على أنساق حكائية تمثل الإنسان فيها الكون، وتترجمها تخييليًّا في أساطيره وخرافاته منذ عصور سحيقة".[29]

ويصبح البحث عن الهوية معضلة وجوديّة حين تمسي الهوية مصدر إعاقة للحياة؛ إذ يسعى الرّاوي إلى إثبات ذاته عبر إيجاد هويته، وينفتح السّرد على المغامرة الإنسانيّة، وعلى التجارب التي خاضها في حياته، الامر الذي يعيد تركيبه في خضمّ حركة العالم وعلاقاته. وحينها يقول : "ترى هل سيكتشفون أمري، يعيدون إليّ هويتي"[30].

هو إذن لم يستطع تحديد هويته، فيبدو كأنّه يخرج على قيم انتمائه الموروث، ويرفض التماثل مع محيطه ويبحث عن الفرادة. إنه يتمرّد على الواقع ويحاول إثبات هوية خاصة به، بعيدًا من صراعات الآخرين وعلاقاتهم به. إذ بقي مغتربًا عن ذاته، لا يجرؤ على الإفصاح عن هويته الذاتيّة كما يعيها حقًّا ويشعر بها. بقي يناور، ويتخفى خلف رموز مستغلقة أحيانًا خوفًا من أن يكشف عن كينونته الحقيقية، لذا، يبدو أنّه شخصيّة مأزومة، تعاني ضياع الهوية، وتعيش في حالة إحباط دائم، ويأس وقلق وسوداوية وخيبة؛ وهو ما جعلها غير متوافقة مع بيئتها الاجتماعيّة.

وقد أدّى التهجير إلى ضياع هوية الشّخصيّات الرّوائيّة في معظم الروايات، وهذا الأمر جعلها تسعى إلى إيجاد الطرق لاستعادة الأرض واسترجاع الهوية الضائعة من خلال المقاومة والشهادة، إذ أثّرت هذه الثنائية في الشّخصيّات الروائية، بما فيها تفتيت وحدتها البنيوية والاجتماعيّة، حيث استمرت الاعتداءات الإسرائيلية باستهداف الفلسطينيين مع ازدياد حركة المقاومة واستشهاد العديد من الفلسطينيين. وأصحبت المقاومة الفلسطينيّة طريقًا إلى تحرير الإنسان والأرض، ليس على مساحة الوطن فحسب، بل على مساحة الأوطان التي انتهكت واستعمرت، حتى أصبحت فلسطين شعار التحرّر والثورة. فكيف تمظهرت أشكال المقاومة الفلسطينيّة تبعًا لتطور الأنساق الاجتماعيّة والسياسية بوصفها تعبيرًا عن حركة المجتمع أو الشعب أو الأمة في الرواية العربيّة؟

[29]–رحيم، سعد محمد، الذّات والآخر في السّرد: قراءة تحليلية لمعضلة الهوية في الرواية العراقية، مجلة الحوار المتدن، الأدب والفن، 2016/1/16.

[30]– جبرا، جبرا إبراهيم، الغرف الأخرى، ص: 730.

المراجع

1- جبرا ابراهيم جبرا :

- البحث عن وليد مسعود، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، طبعة خاصة، 1989.
- السّفينة، دار الآداب، بيروت، ط 3، 1983.\
- الغرف الأخرى، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشّر، بيروت، ط 1، 1988

2- -بارت، رولان، النقد البنيوي للحكاية، ترجمة أنطون أبو زيد، عويدات، زدني علمًا ، بيروت، ط1، 1988.

3- بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، (الفضاء- الزمن- الشخصية)، المركز العربي الثقافي، بيروت، ط1، 1996.

4- تزفيطان، تودورون، مقولات السرد الأدبي، تر: الحسين سحبان وفؤاد صفا، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1982.

5- جبرا، إبراهيم جبرا، أقنعة الحقيقة وأقنعة الخيال، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1992.

6- رحيم، سعد محمد، الذّات والآخر في السّرد: قراءة تحليلية لمعضلة الهوية في الرواية العراقية، مجلة الحوار المتدن، الأدب والفنّ، 2016/1/16.

7- رولان برونوف، ورويال أوئيله، عالم الرواية، تر. نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1991.

8- زيتوني، لطيف، معجم المصطلحات، دار النهار، لبنان، 2000.

9- القليلي، عبد الفتاح، الأرض في ذاكرة الفلسطينيين: اعتمادًا على التاريخ الشفوي في مخيم جنين، رام الله، 2004.

10- الحمداني، حميد، بنية النصّ السّرديّ(من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربيّ للطباعة والنشّر والتوزيع، بيروت، ط 3، 2000.

11- عبيد، ليندا، البحث عن الذّات وغنى التنوّع السّردي في رواية جبرا إبراهيم جبرا "البحث عن وليد مسعود، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، الأردن، المجلد 29 (4)، 2015.

12- عزام، محمد، البطل الإشكالي في الرواية المعاصرة، دار الأهالي، دمشق، 1992.

13- مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، بحث في تقنية السّرد، الكويت، عالم المعرفة، العدد 240، 1998.

14- الهواري، أحمد، البطل المعاصر في الرواية العربية، دار المعارف، القاهرة، 1986.
15- وادي، فاروق، ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية (غسان كنفاني، إميل حبيبي وجبرا إبراهيم جبرا)، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط 1، 1981.